بلاغة الخطاب القرآني في قصتي أصحاب الكهف وصاحب الجنتين – دراسة تحليلية

د.عدنان عبد السلام الأسعد السيدة نور محمود فتحي
جامعة الموصل – كلية التربية للبنات

الخلاصة

الحمد لله وكفى والصلاة على عباده الذين اصطفى.

وبعد....

فالقرآن الكريم كتاب متدفق بالعطاء ، زاخرٌ لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي منابع الجمال فيه ، معجز على مر الازمان والدهور ، ومن الوان اعجازه أسلوبه القصصي الهادف – الذي يعدّ وسيلة من وسائل القرآن الكريم المتعددة التي يعتمدها للدعوة إلى الله ، وسلاحاً لنضال خصوم الإسلام ، وتسلية وتثبيتا للرسول الكريم والمؤمنين من بعده– ، من هذا ومن رغبتنا في خدمة كتاب ربنا التي هي من أجل العبادات وانفعها ومحاولة الكشف عن بعض أسراره البلاغية جاء اختيارنا لموضوع الدراسة بعنوان "بلاغة الخطاب القرآني في قصتي اصحاب الكهف و صاحب الجنتين. واستقام البحث في فصلين يسبقهما تمهيد، وتتلوهما خاتمة ، تناولت في التمهيد العنوان بالدراسة، وسبب نزول سورة الكهف وفضائلها ، والمناسبة بين قصة أصحاب الكهف وصاحب الجنتين في السورة.

ثم جاء بعد ذلك الفصلان ليحاولا الكشف عن جمال واسرار الخطاب البلاغي في قصتي اصحاب الكهف وصاحب الجنتين فجاء الفصل الاول بعنوان : اصحاب الكهف (العقيدة في مواجهة فتنة السلطان والكفر) ، واما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان : صاحب الجنتين (فتنة المال والجاه والاغترار بالدنيا) وكلّ من المبحثين كانا مسبوقين بتوطئة تُوجز الكلام عنهما ، ثم جاءت بعدها الخاتمة لتعرض أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث.

وقد سلكنا في دراستنا لسورة الكهف منهجاً بلاغياً تحليلياً مبنياً على القواعد التي وضعها علماء البلاغة الاجلاء في دراسة الآيات القرآنية وتحليلها وبيان أوجه الإعجاز البلاغي فيها لتكون هذه القواعد خادمة للقرآن الكريم ومبينة عن وجه من وجوه إعجازه.

وبهذا يكتمل المنهج العام الذي سرت فيه باحثاً في بلاغة الخطاب القرآني في قصتي أصحاب الكهف وصاحب الجنتين – دراسة تحليلية ، منهجُ قائم على دراسة آيات القصتين وبيان سماتها واساليبها.

وقد اعتمدنا في بحثنا عدداً من المصادر والمراجع ، تأتي في مقدمتها المدونات التفسيرية وأبرزها (الكشّاف) للزمخشري-/- (ت٥٣٨هـ) ، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور-/-(ت١٣٩٣هـ)، وغيرها، واعتمدت كذلك على عدد كتب البلاغة التي أغنت البحث وأثرته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الانام والمرسلين ، سيدنا محمد -ﷺ- وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد (مدخل الى العنوان)

أولاً . الخطاب لغةً واصطلاحاً

الخطاب لغة : الخطاب "مراجعة الكلام"[١] ، وهو مصدر من الفعل خطب يخطب خطبة ، والخطب: الشأن او الأمر صغر او عظم ، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ . وجلّ الخطب ، أي : عظم ، ومنه: خطب فلان إلى فلان مخطبة واخطبه اي أجابهُ ، والخطبة مصدر الخطيب ، وخطب الخطيب على المنبر ، واختطب يخطب خطبة ، وجمع الخطيب : خطباء ، وجمع الخطباء : خطّاب ، والاخطب طائر ، والاخطب أيضاً لون الى الكدرة مشرب حمرة في صغرة كلون الحنظلة قبل ان تتيبس ، وكلون بعض حمر الوحش[٢].

الخطاب اصطلاحاً : هو "عملية اتصال تتم في إطارين : الاطار اللغوي فقد يكون متوالية من الجمل المكتوبة او المنطوقة ينتجها مرسل واحد او عدة متخاطبين كما يحدث في الخطاب او غيره ، واطار غير لغوي يشمل العادات والاعراف والتقاليد ، ويمكن القول بأن الهدف هو احد عناصر الخطاب فانه يؤثر تأثيراً جلياً في استراتيجية المرسل فيملي عليه اختبارات معينة بين البدائل يتيحها له النظام اللغوي" [٣].

ويمكن تعريف الخطاب أيضا بانه : "الكلام نحو الغير للإفهام"[٤]، ويمكن تعريفه أيضا بانه: إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام ، إذ يعد الخطاب حدثاً كلامياً يتألف من أربعة عناصر هي المُرْسِل (بكسر السين)، والمُرْسَل إليه والرسالة والهدف[٥] .

ثانياً . بين يدي سورة الكهف :

١.سبب نزولها:

جاء في سبب نزولها أنَّ اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد-ﷺ-وحاله : سلوا محمداً عن الروح وعن فتية فقدوا في أول الزمان ، وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها فإن أجاب في ذلك كله فليس بنبي ، وإن لم يجب في ذلك كله فليس بنبي وان أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي ، فسألوه عنها فأنزل الله -لأ- في شأن الفتية : أم حسبت أنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً الى آخر القصة ، وانزل في رجل الذي بلغ شرق الأرض وغربها:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾الى اخر القصة، وأنزل في الروح قوله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ... ﴾ [٦].

وقد نزلت هذه السورة الكريمة في مكة المكرمة ، وقد لقي الرسول محمد -ﷺ- واصحابه الكرام وكل من آمن معهم ، كثيراً من المحن والابتلاءات من طريق الدعوة الذي حف بالمكاره والعقبات ، وكان سبب نزول سورة الكهف لتثبيت قلب النبي -ﷺ- ، لان نفسه-ﷺ- كادت تذهب حسرات من احوال قومه الذين استحبوا العمى على الهدى، والضلال على النور والحق ، فلذا جاءت السورة لتنبه الرسول -ﷺ- ليترفق بنفسه، فانه يؤدي ما عليه من بلاغ قومه للدعوة الاسلامية ، وليتذكر ان الهداية من الله -لأ- [٧].

٢. فضائل السورة :

لسورة الكهف فضائل ومميزات وردت في أحاديث صحيحة كثيرة ، تشير إلى مكانتها ، وترغب في قراءتها وتدبرها : منها أنها تعصم من الدجال ، فقد ورد عن ابي الدرداء -ﷺ- ان النبي -ﷺ- قال: "من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف ، عُصم من الدجال"[٨]. وعن النواس بن سمعان -ﷺ- قال ذكر النبي -ﷺ- الدجال فقال : "انْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فأمرؤٌ حجيج نفسه ، والله خليفتي

على كل مسلم ، فمن ادركـــــه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، فانها جواركم من فتنته" (٩) .

ومنها أنها نور وضياء ، وجاء هذا في حديث أبي سعيد الخدري –ﷺ– أنّ النبي –>– قال : "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين" (١٠). ومن فضائلها أنهَّا من العتاق الأول ، فقد روي عن عبد الله بن مسعود –ﷺ– قال : "بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء : هن من العتاق الاول ، وهن من تِلادَي" (١١).

ثالثاً . المناسبة بين قصة أصحاب الكهف وصاحب الجنتين في السورة :

تدور السورة الكريمة حول محور من المحاور الاساسية والركائز الجوهرية لهذا الدين انه الهدف الاساس الذي نزل من اجله القران الكريم ، انه العصمة من أمواج الفتن المتلاطمة وحشودها المتلاحمة فتنة متنوعة متزاحمة تجعل الحليم حيرانا ، فتنة السلطان وفتنة الاهل والعشيرة في مواجهتهم ومحاربتهم للعقيدة السليمة وهذا ما يتمثل في قصة أصحاب الكهف، وفتنة المال وفتنة الولد والجاه، والاغترار بالدنيا الفانية ، وهذا ما نلمسه في قصة صاحب الجنتين.

من هذا نجد المناسبة والانسجام بين قصتي أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين اللتين اخترناهما موضوعا للدراسة عن قصد لما بينهما من الترابط الموضوعي والسياقي الذي يحقق التماسك والترابط بين آيات السورة ، ومن المناسبة بين القصتين أن قصة أصحاب الكهف اشتملت على الصراع بين الحق والباطل ، بين العقيدة السليمة والفاسدة ، العقيدة السليمة التي آمن بها الفتية(١٢)، والعقيدة الفاسدة التي تمثلها السلطة الطاغية الفاسدة ، فناسب هذا الصراع ماجاء بعدها في قصة صاحب الجنتين والتي مثلها الصراع بين القيم الثابتة الباقية ، والقيم الباطلة الزائفة ، وبذلك تناسب موضوع القصتين . فضلاً عن كون أحداهما مكملة للأخرى فالأولى تمثل فتنة السلطان والأهل ، والثانية تمثل فتنة المال والجاه والنفر ، فجاءت الثانية لتوكد مضمون الأولى وتحذر مع الأولى من الفتن التي قد تضر بالعقيدة السليمة وتفسدها. فضلاً عن أن قصة صاحب الجنتين سيقت بمثابة التقريع والتوبيخ لزعماء قريش الذين أهملوا عقولهم وأغفلوا معرفتهم بمحمد –>– وصدقه ونزاهته وأمانته وأرسلوا إلى اليهود ليعطوهم ما يتحققون به من صدق النبي محمد –>– في دعوته ، فسيق لهم هذا المثل أن من أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى واتبع هواه وكانت قيمه

التي يتحكم اليها المال والجاه ، ضل ضلالاً بعيداً ، فلا ينظر إلى الأمور إلا بمنظار الغني المادي وكثرة الرجال وعلو الجاه والمنزلة بين الناس(١٣).

المبحث الأول/أصحاب الكهف (العقيدة في مواجهة فتنة السلطان والكفر)

توطئة

القصص القرآني نهر متدفق بالعطاء والنفحات وبحر زاخر بالعبر والعظات ، وحجج ساطعات ، وآيات بينات تنطق بصدق هذا الكتاب المبين المنزل من عند رب العالمين على قلب رسوله الامين، من هذا الروض الباسم والبحر الزاخر هذه القصة العجيبة قصة اولئك الفتية الذين خرجوا فراراً بدينهم ، معتصمين بربهم فآواهم المبيت الى كهف اجمعوا امرهم على البقاء فيه حتى تنجلي الفتنة الظلماء ، وينقشع البلاء ، ولم يحضر ببالهم ان نومهم سيطول ليتجاوز ثلاثة قرون ، وهم في رقاد عميق حتى اشرف عليهم فجر جديد ، وهبت عليم نسائم الحرية بعد ان تعاقبت القرون وتداولت العهود وولى عهد الطغاة (١٤).

المقطع الأول

قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ .

تعرض الآيات الكريمات الحديث عن اصحاب الكهف وهم اولئك الفتية المؤمنون الذين فروا بدينهم الحق ، من طغيان الكفار الذين توعدوهم بالتعذيب والقتل اذا لم يعودوا الى دينهم الوثني . وابتدأت الآية بـ (أم) المنقطعة المقدرة بـ (بل) التي للانتقال من مكان الى آخر وقيل أن (أم) ينحل معناها الى (بل) التي للإضراب الانتقالي مع الاستفهام (١٥) ، هذا الاستفهام الذي جاء على طريقة تجاهل العارف أو ما يسمى بسوق المعلوم مساق غيره لنكتة ، فالله –لأ– يعلم أن سيدنا محمد –>– قد يعجب من قصتهم ، لكنه –لأ–

أخرج الآية مخرج التردد ليدل على الغرض بأن يظهر لسيدنا محمد-ﷺ- أن هذه القصة غير عجيبة ، مقارنة بآياته الأكثر عجباً .

ويلاحظ أن معالم الخطاب القرآني واضحة من الآية الأولى للقصة إذ حُدد فيها المتكلم والمخاطب وموضوع الخطاب وطريقة عرضه وعلى النحو الآتي :

المتكلم (الله -لأ-) ←المخاطب(النبي-ﷺ-) ←الخطاب وموضوعه(القصة)

وجاء هذا الخطاب لتسليته -ﷺ- وانه لا ينبغي ان يبخع نفسه على آثارهم ، فالمسترشد يكفيه أدنى اشارة والزائغ لا تجدي فيه آيات النذارة والبشارة ما يشتمل على امهات العجائب [١٦] . والمراد من اصحاب الكهف الفتية الذين آمنوا ولجأوا الى الكهف فأنامهم الله -لأ- مئات السنين ثم بعثهم احياء في الدنيا ، واضاف الاصحاب الى الكهف لانهم عندما مكثوا فيه مدة طويلة اصبحوا كالصاحب لهُ . وآثر التعبير بلفظ الجمع (آياتنا) دون آية ، للدلالة على أن آيات الله -لأ- كثيرة بعثها على يد انبيائه ورسله الى الناس ليؤمنوا به -لأ- ، وجمعت أيضاً للدلالة على التعظيم وهذا ما يقررهُ تنكير المصدر في قوله (عجباً) . والعجب هو "الامر الخارق المثير لغرابته ، يقال : هذا أمر عجيب ، أي مثير للدهشة لأنه غير مألوف الشبيه" [١٧] .

ثم انتقلت الآيات لتصور لنا حرص هؤلاء الفتية وهم يلجأون الى الكهف فراراً بدينهم وذلك في قوله تعالى : ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ....﴿١٠﴾﴾ وابتدأت الآية بإجمال قصتهم ابتداءً ، تنبيهاً على ان قصتهم ليست أعجب آيات الله -لأ- ، مع التنبيه على أنّ ما اكرمهم الله به من العناية انما كان تأييداً لهم من اجل ايمانهم فتكون هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً للجملة التي قبلها . والمراد بالفتية : اصحاب الكهف ، وهذا من الإظهار في مقام الاضمار لان مقتضى الظاهر ان يقال : اذ اووا ، فعدل عن ذلك لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم شباباً متقاربي السن ، وذكرهم بهذا الوصف للإيماء الى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي وثبات الجأش ، والدفاع عن الحق ، ودلت الفاء في جملة (فقالوا) على انهم لما أووا الى الكهف بادروا بالابتهال الى الله -لأ- [١٨] ، وهذا ما يقرره النداء والأمر للدعاء في قوله تعالى :﴿ ..... رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا ..... ﴾ وحذف الاداة مع النداء ، يدل على قرب نفسي يشعر

به الفتية مع الله –لأ– .هذا القرب الذي تدل عليه فاء التفريع في قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ، إذ فهم منها سرعة استجابة الله –لأ– لدعائهم.

ومن الدقائق الأسلوبية حذف مفعول (فضربنا) وهو (الحجاب) لظهوره ، أي ضربنا على آذانهم حجاباً أو غشاوة عن السمع ومثل هذا الحذف يثري النص لأنَّ فيه تنبيه و"إثارة الفكر والحس بالتعويل على النفس في إدراك المعنى"[١٩] ، والضرب على الاذان كناية عن الإنامة الثقيلة لان النوم الثقيل يشبه الموت وهو يستلزم عدم السمع لان السمع السليم لا يحجبه الا النوم بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الاجفان ، وهذه الكناية من خصائص القرآن التي لم تكن معروفة قبل هذه الآية [٢٠]. ويلاحظ أنه أعاد لفظ (الكهف) مع أنه قد مر ذكره على طريقة الإظهار في موضع الإضمار للإشارة إلى أن الكهف ذاته يصعب عليهم فيه الاحساس بما عند الأحياء من عذاب وايلام ، وقد استمر ذلك أمداً طويلاً ، وهذا ما يقرره قوله بعدها: ﴿سِنِينَ عَدَدًا ﴾ فجعل العدد وصفاً للمعدود ، أي سنين كثيرة بالنسبة لنا ، أما بالنسبة لله –لأ– ليست شيئاً مذكوراً. ومن بديع نسيج الآيات الطباق المعنوي بين ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ وبين ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ لان معنى الاول انمناهم ، ومعنى الثاني ايقظناهم .

وتنتقل الآيات الى بيان حالهم عند بعثهم بعد أن ضرب على آذانهم وذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ وافتتحت الآية بالعطف بـ (ثم) لان الزمن تطاول بين دخولهم الكهف وضرب الله –لأ– على آذانهم فقد كانت سنين كثيرة لا تعرف الا بالعد والاحصاء، وسمى الله –لأ– سماعهم بعد ان ضرب على آذانهم بعثاً مع انه ليس الا ان يسمعوا بعد ان لم يسمعوا من غير ان يفقدوا حاسة السمع، ولكن كان هناك حجاب يمنع من السماع بإرادة الله–لأ–، ثم تنتقل الآية الكريمة لبيان (أي) بتضمنها معنى الاستفهام ومعناه التنبيه الى ان الزمن طال حتى اختلفوا في قدره وبعثوا من مرقدهم ليعرفوا الزمان وفي أي زمان هم وبذلك يعرفون أي القائلين اصدق قيلا[٢١] . ويلاحظ على الآيات السابقات حضور حروف العطف (الفاء – الواو – ثم) كان لافتاً فيها مما ساهم بدوره في ترابط واتساق أحداث القصة .

وتنتقل الآيات لخطاب النبي -ﷺ- وذلك في قوله تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ وابتدأت الآية بالحديث عن نبأ اصحاب الكهف ، بقوله (نحن نقص) وقد جاء موازياً لقوله -لأ- (لنعلم) ، ويقصد بالنبأ : الخبر العظيم ، واي خبر وشأن اكبر من عدد من الناس ناموا نحو ثلاثمائة سنة او تزيد ، ويتكفل الله -لأ- بإيقاظهم من مرقدهم ، وقد ذكر ان نبأ هؤلاء الفتية كان (بالحق) مصاحباً للحق لا يغادر شيئاً من الصدق ولا يبعد[٢٢]، وتقديم المسند اليه (نحن) على المسند الفعلي (نقص) يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق ، بالإضافة إلى تقديم شبه الجملة (عليك) على المفعول به(نبأهم) لإفادة اختصاص سيدنا محمد -ﷺ- بنبأ هؤلاء الفتية دون غيره.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ استئناف مبني على السؤال من قبل المخاطب [٢٣] ، وقوله تعالى ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ فيه اضافة الرب وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده ولم يأت التركيب (آمنوا) فقط للإشعار بتلك الرتبة وهي انهم مربوبون له مملوكون ، بعد ذلك قال (وزدناهم هدى) هنا في هذه الآية لم يأت التركيب (وزادهم) لما في لفظة (نا) من العظمة والجلال ، وزيادته -لأ- لهم هدى هو تيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع اليه ، ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادة في الايمان الذي حصل لهم [٢٤].

المقطع الثاني

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا

لِيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ . تعرض الآية الاولى من هذا المقطع الحديث عن ربط الله –لأ– على قلوب أولئك الفتية وتقويتها على الصبر والثبات بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ، ومفارقة ما كانوا عليه من رغد العيش .

افتتحت الآية الكريمة بالاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (ربطنا) في قوله : (وربطنا على قلوبهم..) فمعنى الربط المذكور في الآية هو الشد بالحبل ، والمعنى شددنا على قلوبهم وقويناها كما تشد الأوعية بالأوكية[٢٥] ، ولا يخفى جمالية مثل هذه الاستعارات القرآنية إذ تعد أسلوباً من أساليب المبالغة يستخدم للتأكيد في وصف حال أو موقف ترغيباً أو ترهيباً[٢٦]. ومن بديع نسيج الآية الجناس الواقع بين(قاموا) و(قالوا)، وقد دل على سرعة استجابة الله لدعائهم.

وجملة (اذ قاموا) ظرف للربط ، اي كان الربط في وقت قيامهم ، اي كان ذلك الخاطر الذي قاموا به مقارناً لربط الله على قلوبهم ، فلولا ذلك لما اقدموا على مثل ذلك العمل وذلك القول ، والقيام يحتمل ان يكون حقيقياً بأن وقفوا بين يدي ملكهم المشرك او وقفوا في مجامع قومهم خطباء معلنين فساد عقيدة الشرك ، ويحتمل ان يكون القيام مستعاراً للإقدام والجسر على عمل عظيم [٢٧] . وآثر التعبير استعمال(ربنا) لما فيه من معنى الرعاية والحفظ لهم ،وللإشارة إلى وجود أرباب أخرى وقتها لا يؤمنون بها . وفي إضافة الرب إلى قوله: (السموات والارض) الذي وقع فيه طباق دلالة على شمول ربوبيته لكل شيء في الكون.

وأكدوا هذا التوحيد بـ (لن) في قوله تعالى : ﴿ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ لان النفي بها أبلغ من غيرها حتى قيل انه يفيد استغراق الزمان فيكون المعنى لانعبد ابداً من دونه الهاً اي معبود اخر لا استقلالاً ولا اشراكاً ، وقد عدلوا عن قولهم (رباً) الى قولهم ﴿إِلَٰهًا﴾ للتنصيص على رد المخالفين إذ كانوا يسمون أصنامهم آلهة ، وللإشعار بأن مدار العبادة وصف الالوهية [٢٨]. وختمت الآية بقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ واللام في (لقد) لتاكيد قولهم، والشطط هو الافراط في مخالفة الحق والصواب وهو مشتق من الشط وهو البعد عن المواطن لما في البعد عنه كراهية النفوس فاستعير للإفراط في شيء مكروه وهو

نسبة الالوهية الى غير الله[٢٩]. ومن قولهم يفهم أن في الآية حذفاً وتقديره: ولو دعونا غيره لقلنا قولا شططاً .

وتمضي الآيات لتبين حديث الفتية عن حال قومهم وذلك في قوله تعالى : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ .....﴿١٥﴾ ﴾ وآثر استعمال اسم الاشارة (هؤلاء) لقصد تمييزهم بما سيخبر به عنهم ، وفيه تعريض بالتعجب من حالهم وتفضيح صنعهم وتحقير لهم. وجملة (اتخذوا) خبر عن اسم الاشارة (هؤلاء) ، فهو خبر مستعمل في الانكار عليهم دون الاخبار اذ اتخاذهم الهة من دون الله معلوم بين المـــــتخاطبين ، فليس الاخبار به بمفيد فائدة الخبر .

وتنتقل الآية الى قوله تعالى : ﴿ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ ... ﴾ وجاءت (لولا) في هذه الآية للتحضيض وهو الطلب بحث وشدة ، والمراد بهذا الطلب التعجيز لأنه من المعلوم انه لا يقدر احد ان يأتي بسلطان بين على جواز عبادة غير الله –لأ–، ولما كان الاتيان بسلطان على ثبوت الإلهية للأصنام التي اتخذوها الهة متعذراً بقرينة انهم انكروه عليهم انصرف التحضيض الى التبكيت والتغليظ ، اي اتخذوا الهة من دون الله لا برهان على الهيتهم [٣٠].

وبعدها تصور الآية الحديث عن اخبار الله –لأ– عن اعتزال الفتية ودخولهم الكهف وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ....﴿١٦﴾ ﴾ ، وافتتحت الآية بـ(اذ) في قوله : ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ ﴾ للدلالة على التعليل ، والـــــــــفاء في ﴿ فَأۡوُۥٓاْ ﴾ للتفريع على جملة ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ ﴾ باعتبار افادته معنى: اعتزلتم دينهم اعتزالا اعتقادياً ، فيقدر بعدها جملة: فاعتزلوهم اعتزال مفارقة ﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾[٣١]. ويلاحظ أنه قد الرحمة على التهيئة في قوله: ﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ ، للتنبيه والإشارة على فضل الرحمة وأهميتها فهي أم النعم وسبب بقائها، فضلاً عن أنَّ هذا الترتيب يتناسب مع دعائهم أول مرة بقولهم:﴿ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا ﴾ .

وبعد اعتزالهم في الكهف ، تتحدث الآيات عن ميلان الشمس عن هؤلاء الفتية يميناً وشمالاً، ذلك في قوله تعالى :﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ....﴿١٧﴾ ﴾ . وابتدأت الآية الكريمة بإخبار المولى

-لأ- عن دخول الشمس للكهف، والاتيان بالفعل المضارع للدلالة على تكرار ذلك كل يوم ، وهذا مع ما تقرره المقابلة بين قوله:﴿ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ وقوله:﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ ، يدل على قدرة الله سبحانه وعظيم فضله عليهم بأن سهل لهم ما فيه خيرهم وعدم هلاكهم. ومن بديع نسيج الآية المقابلة المعنوية قوله تعالى : ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ ، وفيها إيجاز بالحذف أيضا وتقديره: ومن يضلل فهو الضال ، ومثل هذا الحذف يجمل العبارة ويهذبها لأنه يجعل المتلقي يرى فيه " ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة " [٣٢] .

ثم تنتقل الآية الكريمة لتخاطب النبي -ﷺ- وكأنهم امامه وذلك في قوله تعالى : ﴿أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ ... ﴿١٨﴾ ﴾ وقد تضمنت الآية وجوهاً من البيان والبديع ، منها الطباق بين (ايقاظ) و (رقود) ، ومنها التشبيه البليغ في ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا ﴾ ، أي: كالأيقاظ.

ومن دقائق الآية مجيء الفعل (تحسبهم) مضارعاً للدلالة على أنّ ذلك يتكرر مدة طويلة ، والمعنى وتحسبهم ايها الناظر كأنهم ايقاظ ، والحال انهم نيام ، ذلك لان اعينهم منفتحة لئلا تفسد وفي الحقيقة انهم رقود.

ومن بلاغتها حكاية الحال الماضية في قوله : (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) لان اسم الفاعل هنا بمعنى الماضي ، وعمل في ذراعيه النصب على ارادة حكاية الحال الماضية اي : انه تقدر الهيئة الواقعة في الزمن الماضي واقعة في حال التكلم والمعنى : يبسط ذراعيه ، فيصح وقوع المضارع موقعه بدليل ان الواو في كلبهم واو الحال ، ولذا قال سبحانه : (ونقلبهم) بالمضارع الدال على الحال ، ولم يقل وقلبناهم بالماضي(٣٣) .ويشير قوله (وكلبهم باسط ...) على ان تقليبهم لليمين وللشمال كرامة لهم بمنحهم حالة الاحياء وعناية بهم ، لذلك لم يذكر التقليب لكلبهم بل استمر في مكانه باسطاً ذراعيه شأن جلسة الكلب[٣٤] .

واختتمت الآية بقوله تعالى : ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ اي لو عاينتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الوقوف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة ، لأعرضت بوجهك عنهم ، ولملئت منهم خوفاً يملأ الصدر لما البسوا من الهيبة فلا يقع

نظر احد عليهم الا هابهم وخافهم وذلك لئلا يدنو منهم احد ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب اجله وتنقضي رقدتهم التي شاءها -لأ- فيهم [٣٥].

وتنتقل الآيات للحديث عن بعث الفتية بعد نومهم سنين طويلة تذكيراً بقدرته -لأ- على الإنامة والبعث ، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... ﴾ . افتتحت الآية بقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ ... ﴾ الدالة على التشبيه والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من قوله : (فضربنا على اذانهم) اي مثلما جعلنا انامتهم هذه المدة الطويلة اية جعلنا بعثهم اية ، وذلك تذكيراً بقدرته على الاماتة والبعث جميعاً ليسأل بعضهم ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله -ﷻ- ويزدادوا يقيناً وايماناً، ومثل هذا التشبيه في القرآن يكسب النص روعة واستقامة وتقريب فهم و"يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً"[٣٦] واللام في (ليتسألوا) لام العاقبة ، اي بعثناهم لتكون العاقبة ان يتسألوا فيما بينهم عن المدة التي لبثوها ، و(كم) الواردة في الآية استفهامية مستعملة في التعجب المشوب بالشك ، والمعنى: كم يوماً استغرقنا في النوم ! ولهذا قالوا بعدها﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ فهو انكار عليهم من بعضهم ، بان الله-لأ-اعلم بمدة لبثهم ، وكأنهم قد علموا بالأدلة ان المدة متطاولة وان مقدارها لايعلمها الا الله.

وبعد ذلك تنتقل الآية الكريمة الى قوله تعالى:﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ... ﴾ ، فالإشارة في هذه الآية اولاً الى ان اللائق بطالبي الله -لأ- ترك السؤال ، وثانياً الى ان اللائق بهم ان لا يختص احدهم بشيء دون صاحبه ، وذلك من خلال قول قائلهم: ﴿ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ ﴾ فأضاف الورق اليهم جملة ، وثالثاً الى ان اللائق بهم استعمال الورع وذلك من خلال طلبهم بالطعام الزكي في قوله﴿ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾، ورابعاً الى انه ينبغي لهم التواصي بحسن الخلق وجميل الرفق وذلك من خلال قولهم (وليتلطف) بناءً على أنهَّ أمر بحسن التعامل مع من يشتري منه[٣٧].

وقوله تعالى :﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ تحذير من الارجاع الى ملتهم بانها يترتب عليها انتفاء فلاحهم في المستقبل لما

دلت عليه حرف (اذا) من الجزئية ، (وابداً) ظرف للمستقبل كله ، وهو تأكيد لما دل عليه النفي بـ (لن) من التأبيد او ما يقاربه(٣٨) .

المقطع الثالث

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۖ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾

تبين الآيات الكريمات سبب بعث الله –لأ– لأصحاب الكهف بعد رقادهم ، فضلاً عن بيان اختلاف أهل الكتاب في عددهم ، ليعلموا في وقت منازعتهم أن وعد الله في بعث الأجساد حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الكتاب الكريم حق من الله –لأ–.

ابتدأت الآيات بالانتقال إلى جزء القصة الذي هو موضع عبرة أهل زمانهم بحالهم وانتفاعهم باطمئنان قلوبهم لوقوع البعث يوم القيامة بطريقة التقريب بالمشاهدة وتأييد الدين بما ظهر من كرامة انصاره، وقد كان القوم الذين عثروا عليهم مؤمنين مثلهم، فكانت آيتهم آية تثبيت وتقوية إيمان، فالكلام عطف على قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ ، على طريقة التشبيه. وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي ليعلم أهل الكتاب حين اختصموا في البعث، أن وعد الله –لأ– بالبعث والنشور، وإن الناس ينامون كما يموتون وأنهم يبعثون كما يستيقظون، وقد تنازع أهل الكتاب من بعد موتهم في أمرهم، ماذا يصنعون لهم تكريماً لشأنهم وثباتهم في الحق والبلاء، ولذا قال: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ تعني (إذ) ظرف زمان للماضي متعلق في الظاهر بقوله تعالى: (أعثرنا)، أي بمعنى أن النزاع في أمرهم يبنون عليهم بنياناً أو مسجداً، إنما كان في وقت العثور، وهذا يدل على أنهم لم يعيشوا إلا

بقدر بعثهم والعثور عليهم ليكونوا حجة قائمة شاهدة حسية بعلمه –لأ– ، وقد ماتوا فور هذا ولذا كان زمن العثور هو زمن التنازع في أمرهم مما يدل على إتحادهما أو على قربهما قرباً يشبه الوحدة الزمنية(٣٩).

و قوله: ﴿فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗا﴾، أي ابنوا على باب كهفهم بنياناً كمسجد ونحوه، تكريماً لهم لصبرهم وثباتهم على الإيمان، وقد اشتملت هذه الآية على جناس الاشتقاق. وجيء بجملة (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) معترضة بين قوله: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗا﴾ وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ ، للدلالة على أن ربهم الذي خلقهم ورباهم على التقوى والإيمان وأفرغ في قلوبهم الصبر أعلم بأمرهم من هؤلاء الذين يريدون أن يبنوا عليهم بنياناً فهو وحده العليم بما خلق، فهم لا يكرمون بالبنيان، وإنما يكرمون بالجزاء الأوفى في الآخرة.

وبعد إطلاع الله –لأ– أهل الكتاب عن حال أصحاب الكهف عند يقظتهم من رقادهم الذي دام سنين طويلة، تنتقل الآيات لبيان الاختلاف الحاصل في عددهم، كما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ والضمير في(سيقولون) لمن خاض في قصتهم في زمن الرسول –ﷺ– من أهل الكتاب والمؤمنين، فقد سألوا رسول الله –ﷺ– فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم، فنزلت أخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم (٤٠).

وحقق تكرار فعل القول: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ و ﴿وَيَقُولُونَ﴾ و ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ترابطاً وتماسكاً نصياً للقصة ، والذي ربط بدوره بين مجريات القصة وقتها فهو " يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة"(٤١) ، لأن طبيعة الحوار تقتضي القول والرد عليه بقولٍ آخر.

ومن دقائق التعبير القرآني، عدم ذكر الواو في الأمرين الأولين، أي في قوله : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ ، وذلك يدل على أن الكلب في العدد وصف، فهو ليس منفصلاً عنهم في العدد، أما في السبعة فقد ذكر مغايراً لهم، لأن العطف يقتضي المغايرة، وعبارات القرآن فيها الدقة والأحكام وأن تكون حروفه وكلماته كل في موضعه قد كان لغاية مؤداة ولم يكن عبثاً (٤٢).

ومن بلاغة الآية ولطائفها، الاستعارة المكنية في قوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ فقد شبه الغيب والخفاء بشيء يرمى بالحجارة، واستعير الرجم له[٤٣] ، ومثل هذه الاستعارة " تؤدي بدورها إلى فهم الصورة القرانية على أنها طريقة في الاقناع تتوسل بنوع من الابانة والتوضيح ، وتعتمد على لون من الحجاج والجدل ، وتحرص على إثارة الانفعالات في النفوس ، على النحو الذي يؤثر في المتلقي ويستميله إلى القيم الدينية السامية التي يعبر عنها القرآن الكريم"[٤٤]. ويلاحظ على قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ أنه عند ذكر السبعة في هذه الآية الكريمة، لم يذكر السين، فلم يقل ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ بل حذفت السين اكتفاء بذكرها في الأمرين السابقين، أو لعدم التخمين والحدس فيها، ولأن القول فيها لم يكن كالقول في الأمرين السابقين بل كان أقرب الى الصدق وإن لم يكن قطعاً ، كما ويلاحظ في هذه الآية أيضاً أنه لم يذكر فيها أنه رجم بالغيب، بل هو نوع آخر ربما كان أقرب إلى الصدق، أو على الأقل ليس فيه قطع بالكذب ولا بالظن، ومادام لم يحكم بأنه رجم بالغيب فاحتمال أن يكون له أساس قائم[٤٥].

والفاء في قوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ لتفريع النهي على ما قبله، أي بمعنى إذا عرفت جهل اصحاب القولين الأولين، فلا تجادلهُم ولا تنازعهم (فيهم) أي في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه، ونزاعاً سهلاً ليناً، وهو أن تقص عليهم ما في القران من غير تكذيب لهم في تعيين العدد، ولا تصريح لهم بجهلهم، وقوله ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ نهي بمعنى: لا تسأل في شأن أصحاب الكهف أحداً من أهل الكتاب فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب من غير إستناد إلى دليل قاطع ولا نص صريح[٤٦].

ثم تنتقل الآيات إلى تعليم النبي والمؤمنين بنهيه -ﷺ- والمؤمنين، عن فعل شيء دون أن يقترن بمشيئة الله -لأ- ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ....﴿٢٤﴾ ﴾

وقوله تعالى: (وَلا تَقُولَنَّ) نهي للتعليم والتأديب، أي لا تقولن يا محمد شيئاً تعزم عليه فيما يستقبل من الزمان مطلقاً اني فاعله دون ان تقول إن شاء الله فهو استثناء مفرغ من النهي، أي لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً في حال من الأحوال، إلا في حال

تلبسك بالتعليق بالمشيئة على الوجه المعتاد، كأن تقول إن شاء الله[٤٧]. ولهذا ذكر فعل المشيئة بصيغة المضارع ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ﴾دون الماضي للإشارة إلى أنه متعلق بالمستقبل، والمستقبل بيد الله –لأ– وحده.

وبعد هذا الخلاف في عددهم تأتي لتبين حقيقة المدة التي لبث فيها الفتية في كهفهم وأن الله اعلم بها وهو علام الغيوب ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن ... ٢٦ ﴾[٤٨]

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ تفويضٌ إلى الله –لأ– في علم المدة التي مكث فيها أصحاب الكهف في كهفهم، فهو وحده يعلم غيب السموات والأرض، فكل مغيب يعلمه –لأ– وهو بكل شيء عليم [٤٩]. ومن جماليات الآية التقديم للاختصاص إذ قدم شبه الجملة الخبر (له)على المبتدأ (غيب السموات والارض) لإفادة اختصاص علم الغيب بالله – لأ– وحده دون غيره. والطباق بين السموات والارض افاد شمول ملك الله لكل شيء في الكون.

وجيء بما يدل على التعجب من إدراكه للمبصرات والمسموعات فقال: (أبصر به) –لأ– (وأسمع) به –لأ– ، أي ما أبصر الله –لأ– بكل موجود، وأسمعه بكل مسموع، فهو لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهذا أمر عظيم من شأنه أن يتعجب منه [٥٠].

والضمير في قوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ ... ﴾ يعود إلى أهل الكهف، لأنهم المتحدث عنهم و (من) لاستغراق النفي، والمعنى مالهم بدله من ولي تولى أمورهم وعلم أحوالهم، وفي قوله: ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ ، أي لا يشرك سبحانه أحداً في سلطانه وملكه [٥١].

ومن الظواهر الأسلوبية في قصة أصحاب الكهف التكرار ، إذ كررت (إذ) أربع مرات وذلك في قوله تعالى: (إذ أوى الفتية إلى الكهف) وقوله تعالى: (إذ قاموا فقالوا) ، وقوله تعالى: (وإذ اعتزلتموهم) ، وقوله تعالى: (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) ، وكان لهذا التكرار دور بارز في تحقيق الانسجام والتماسك النصي داخل هذه القصة ، فضلاً عمّا حققه تكرار هذه الكلمة من تصوير للحركات التي اقتضت تلازم (إذ) معها ، بالإضافة إلى أنه " يعين على

استمرار الوحدة التنغيمية ويحقق التوازي في العلاقات الوثيقة بين البنى التنغيمية والتركيبية والايقاعية ، وفي التطابق بين السمات الأسلوبية "[٥٢] .

المبحث الثاني/صاحب الجنتين
(فتنة المال والجاه والاغترار بالدنيا)
توطئة

أمر الله –لأ– رسول –ﷺ– ان يضرب لمشركي مكة هذا المثل للعظمة والاعتبار ، والتذكرة والاستبصار ، وتصحيح المفاهيم ، وان العبرة بالخواتيم ، وان تقلب الكافر في النعم امهال واستدراج ، ومكابدة المؤمن في الدنيا ابتلاء وتمحيص . مثل ضربه الله –لأ– لمن يتعزز بالدنيا ، ويستنكف عن مجالسة الفقراء ، وان المقصود من هذا ان الكفار افتخروا بأموالهم وانصارهم على فقراء المسلمين فبين الله –لأ– ان ذلك مما لا يوجب الافتخار ، لاحتمال ان يصير الفقير غنياً والغني فقيراً .

فقصة الرجلين والجنتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية ، وترسم نموذجين للنفس المعتزة بزينة الحياة ، والنفس المعتزة بالله ، وكلاهما نموذج انساني لطائفة من الناس ، فصاحب الجنتين نموذج للرجل الثري ، تذهله الثروة ، وتبطره النعمة ، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على اقدار الناس والحياة ، ويحسب هذه النعمة خالدة لاتفنى ، فلن تخذله القوة ولا الجاه ، واما صاحبه فهو نموذج للرجل المؤمن المعتز بايمانه ، الذاكر لربه يرى النعمة دليلاً على المؤمن ، موجبة لحمده وذكره ، لا لجحوده وكفره[٥٣] .

الآيات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا

غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

تتحدث الآيات الكريمات عن رجلين أحدهما مؤمن والآخر كافر كانت له جنتان من أعناب ونخيل وزروع وكل ما تشتهيه الأنفس، فلم يشكر ربه على هذه النعم وجحد بنعمة ربه، ولم يستمع لأخيه المؤمن الذي قدم له النصح بأن يحمد ويشكر ربه، فأباد الله تلك الجنتان، فندم على جحوده وكفره لهذه النعم التي أصبحت كالهباء المنثور.

افتتحت الآيات بضرب الله –لأ– هذا المثل ليُبين حال الفريقين المؤمنين والكافرين، فالكفار مع تقلبهم في النعيم قد عصوا ربهم، والمؤمنين مع مكابدتهم للشدائد والبأساء قد أطاعوه، وذكر الأعناب والنخيل بهذه الطريقة ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة ومتشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الهيئة الحسنة والترتيب الأنيق.

ومن الفنون البلاغية الموجودة في هذه الآية : التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ لأن وجه الشبه منتزع من متعدد [٥٤]، ولاتخفى مرامي هذا التشبيه في إثراء النص القراني فهو " أقرب وسيلة للإيضاح والإبانة ، وأقرب وسيلة لتقريب البعيد من المعاني"[٥٥]. ومنها: التتميم في وصف الجنتين، فإن قوله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ يحتمل أن تكون الجنتان مجرد إجتماع شجر متكاثف ويستر بظل غصونه الأرض، كما تقتضيه الدلالة اللغوية على معنى الجنة أو يكون النفع منها ضئيلاً كشجر الأثل والخمط ونحوهما، فيكون أسفه عليها أقل من أن تكون الجنتان من نخيل وأعناب ينتفع بها تثمرانه عليه، فتمم ذلك بقوله:﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ لئلا يتوهم أن الانتفاع قاصر على النخيل والأعناب، ولتكون كل من الجنتين جامعة للأقوات والفواكه متواصلة العمار على الشكل الحسن والترتيب الأنيق[٥٦].

ثم جاءت الأيات بعدها لتصور جمالية تلك الجنتين وبهائهما إذ فيها كل ما تشتهيه الأنفس من ثمرات، كما في قوله تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

وجاء قوله : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ اعتراضا بين الجمل المتعاطفة، والمعنى أثمرت الجنتان إثماراً كثيراً حتى أشبهت المعطي من عنده، ومعنى ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ لم تنقص منه، أي من أكلها شيئاً، أي لم تنقصه عن مقدار ما تعطيه الأشجار في حال الخصب، ففي الكلام إيجاز بحذف مضاف والتقدير ولم تظلم من مقدار أمثاله، وقد أستعير الظلم للنقص على طريقة التمثيل بتشبيهة هيئة صاحب الجنتين في إتقان خبرهما وترقب إثمارهما بهيئة من صار له حق في وفرة غلتها بحيث لن تأت الجنتان بما هو مترقب منهما أشبهتا من حرم ذا حق حقه فظلمه ، فاستعير الظلم لإقلال الأغلال، واستعير نفيه للوفاء بحق الإثمار[٥٧]، ومن لطائف الآية قوله ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾ أي: أجرينا وشققنا وسط الجنتين نهراً ليسقيهما دائماً من غير انقطاع، ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس، للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين، ولو عكس لأفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض، فإن إيتاء الدكل متفرع على السقي عادة.

ومن أوجه البلاغة المذكورة في هذه الآية، التتميم قوله :﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾ للدلالة على ديمومة الانتفاع بهما ، فإن الماء هو سر الحياة، وعامل النمو الأول في النباتات، واذن فقد استكمل هذا الرجل كل الملاذ ، واستوفى ضروب النعم، ثم تمم ذلك أيضاً بقوله: ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ لاستحضار الصورة التامة للانتفاع بالموارد. ومنها الاحتراس بقوله : ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ فهو احتراس من أن يكون ثمة نقص في الأكل الذي آتته. ومنها أيضاً الكناية في قوله: ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ كناية عن تمامها، ونموها دائماً وأبداً فليست على عادة الأشجار التي يتم ثمرها في بعض السنين وينقص في بعض، أو تأتي بالثمر ناقصاً عاماً بعد عام، فهي فياضة المورد كل حين[٥٨] .

وتنتقل الآيات بعدها لتبين الحوار الذي دار بين الرجل الكافر وأخيه المؤمن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ....﴿٣٤﴾ ﴾ وافتتحت الآية الكريمة بجملة ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ وهي في موضع الحال من (لأحدهما)، والثمر في هذه الآية يعني المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والجنات والمزارع ، ، والفاء في قوله: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ لتفريع جملة (قال) على الجمل السابقة لأن ما تضمنته الجمل السابقة من شأنه أن ينشأ

عنه غرور بالنفس ينطق ربه عن مثل ذلك القول، والمراد بالصاحب في هذه الآية الرجل الأخر من الرجلين، أي من ليس له جنات في حوار بينهما، ولم يتعلق الغرض بذكر مكان هذا القول ولا سببه لعدم الإحتياج إليه في الموعظة، وجملة (وهو يحاوره) حال من ضمير (قال)، والمحاورة تعني مرجعة الكلام بين متكلمين، والضمير المنصوب في (يحاوره) عائد على صاحب ذي الجنتين، ورب الجنتين يحاور صاحبه، ودل فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصالح، فراجعه الكلام بالفخر عليه والتطاول شأن أهل التفاخر والنقائص أن يعدلوا عن المجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء[٥٩] ، وقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن وهو يجادله ويفتخر عليه ويتعالى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ فالمال هو كل ما يمتلكه الإنسان من دراهم أو ذهب أو غير ذلك، ومن قوله ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي أكثر حشماً وأعواناً وأولاداً وذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث[٦٠].

وقدّم المال على النفر "للعناية والاهتمام"[٦١] ولبيان أنه أحب إلى نفس المتكلم وأشد تعلقاً به. ومن المباحث الأسلوبية في الآية الالتفات ، إذا انتقل من ضمير الغائب في قـــــــوله:﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ الى ضمير المتكلم في قوله: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، للدلالة على تعاظم الكبر في نفس الرجل الكافر حتى سيطر عليه فأخذ يتفاخر بما لدية من المال والاولاد بالإضافة إلى أن مثل هذا الالتفات يعد من فنون البلاغة التي " تحدث في النفس وقعاً خاصاً فتحرك المشاعر ، وتبعث على التفكير والتأمل ، وكأنها تأخذ بتلابيب المتتبع تقف به عندها ، لأن في صيغة الالـــــــــفات حركة انتقالية بين ماقبلها وما بعدها"[٦٢] .

ومن الفنون البلاغية التي تضمنتها هذه الآية اللف والنشر غير المرتب وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ وحاصل ما قاله هذا الكافر مقولته الشنيعة وهي: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ومنها: المبالغة والإفراط في الصفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ، وهو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده، وقد أتى هذا الفن في هذه الآية، بصيغة اسم التفضيل وهو محض الحقيقة من غير القرينة(٦٣) .

وتمضي الايات في تصوير تفاخر الرجل الكافر بجنتيه وتعاليه على أخيه المؤمن وظنه بدوام تلك الجنتين طول الدهر، كما في قـــــــوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ....﴿٣٥﴾﴾.

ابتدأت الآية بالحديث عن دخول صاحب الجنتين (جنتهُ) مع صاحبه المؤمن يطوف به ويريه حسنها ويفاخره بما ملك من المال دونه[٦٤] وجملة (ودخل جنته) في موضع الحال من الضمير (قال) أي قال ذلك وقد دخل جنته مرافقاً لصاحبه، أي دخل جنته بصاحبه، كما يدل عليه قوله: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ لأن القول لا يكون إلا خطاباً لأخر أي قال له[٦٥]، وقد أفرد الجنة لأن المراد ماهو جنته، وهي ما مُتع به من الدنيا تنبيهاً على أنه لا جنة له غيره ولا حظ له في الجنة التي وعد بها المتقون أو لإتصال كل واحد من جنتيه بالأخرى أو لأن الـــــــدخول يكون في واحدة فواحدة، ومـــعنى ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي ضار لها بعجبه وإعتماده على ماله، ويكفره بالمبدأ والمعاد هو أقبح الظلم، وفي قوله (قال) صاحب الجنتين لإستئناف الظلم، ﴿....أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أي أن صاحب الجنتين يعتقد بأن جنتيه باقية طول الدهر لا تفنى ولا تهلك ولا تنعدم فلطول أمله وتمادي غفلته، قال ذلك بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته والإغترار بها وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات . ومن بلاغة الآية الاستعارة في قوله: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ﴾ فقد إستُعير الظن للعلم، لأن الظن الغالب بداني العلم ويقوم مقامه في العادات والأحكام، ومنه أيضاً المظنة في العلم[٦٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي كائنة فيما سيأتي مجازٌ، فالقيام الذي هو من صفات الاجسام مجاز عن الكون والتحقق لكنه جار في العرف مجرى الحقيقة[٦٧].

وتستمر الايات في عرض الحوار الذي دار بين الرجل المؤمن وصاحب الجنتين، فهو يعظه ويزجره عما هو فيه من الكفر وإنكاره للبعث، ويقول له أجحدت الله الذي خلق أصلك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى ....﴿٣٨﴾﴾ أفتتحت الآية بقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ حكي كلام صاحبه بفعل القول بدون عطف للدلالة على أنه واقع موقع المحاورة والمجاوبة، والاستفهام في

قوله:﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ مستعمل في التعجب والإنكار، وليس على حقيقته لأن الصاحب كان يعلم أن صاحبه مشرك بدليل قوله له ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ فالمراد بالكفر هنا الإشراك الذي من جملة معتقداته إنكار البعث، ولذلك عرف بطريق الموصولية لأن مضمون الصلة من شأنه أن يصرف من يدركه عن الإشراك به، فإنهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق الناس فما كان غير الله مستحقاً للعبادة(٦٨).

ومعنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي في ضمن خلق أصلك منه وهو آدم –عليه السلام– لما أن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه –عليه السلام– إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت إنموذجاً منطوياً على فطرة سائر أفراد الجنس إنطواء إجمالياً مستتبعاً بجريان آثرها على الكل،فإسناد الخلق من تراب إلى ذلك الكافر حقيقة باعتبار أنه مادة أصله، وكون ذلك مبنياً على صحة قياس المساواة خيال واه فالإسناد مجاز من إسناد ما للسبب إلى المسبب فتدبر(٦٩).

وقوله (من تراب) فيه إشارة إلى الإجزاء التي تتكون منها النطفة وهي أجزاء الأغذية المستخلصة من تراب الأرض، وتدل (من) على الإبتداء لأن الكلام إبتدأ بها(٧٠). ومن اوجه البلاغة المذكورة في هذه الآية ، اللف والنشر غير المرتب في قوله تعالى :﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن .... ﴾ لأن حاصل ما قاله الكافر من القول الشنيع ثلاث مقالات: الأولى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا..﴾ والثانية: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ ، والثالثة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ...﴾ وقد تعقبه المؤمن في الثلاثة على سبيل اللف والنشر غير المرتب، فوبخه على الأخيرة بقوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ...﴾ ، ووعظه ونصحه على الثانية بقوله:﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ ...﴾ وقرعه على الأولى بقوله ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ ...﴾(٧١).

وبعد أن وعظ الرجل المؤمن صاحبه الكافر المنكر للبعث، تأتي الآية بعدها على لسان الرجل المؤمن ليُقر بألوهية الله وربوبيته وإنفراده فيهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.ولفظ (لكنَّا) فهو لفظ مركب من (لكن) بسكون النون وهو حرف استدراك، ومن ضمير المتكلم (أنا)، وأصله: لكن أنا فحذفت الهمزة تخفيفاً على غير قياس لا لعلة تصريفية، ولذلك لم يكن للهمزة حكم الثابت فلم تمنع من الإدغام الذي يمنع منه ما هو محذوف لعلة بناء على أن المحذوف لعلة بمنزلة الثابت، وقد

أكد إثبات إعترافه بالخالق الواحد بمؤكدات أربعة وهي الجملتان الأسميتان، وضمير الشأن في قوله ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾، وتعريف المسند والمسند إليه في قوله: (الله ربي) المفيد قصر صفة ربوبية الله على نفس المتكلم قصراً إضافياً بالنسبة لمخاطبه، أي دونك إذ تعبد الهة غير الله، وما القصر إلا توكيد مضاعف ثم بالتوكيد اللفظي للجملة بقوله ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [٧٢] . وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ عطف على إحدى الجملتين، والإستدراك على (أَكَفَرْتَ) وملخص المعنى لما كان الإستفهام الذي هو للتقرير على سبيل الإنكار كان المعنى : أنت كافر بالله –لأ– لكني مؤمن موحد[٧٣].

ينتقل حديث الرجل المؤمن إلى توبيخ صاحبه، وتنبيهه إلى وجوب شكر الله –لأ– وحمده على النعم التي انعمها عليه، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾ ، افتتحت الآية بـ (لولا) التي تدل على الحض والمبالغة في الإنكار بمعنى (هلا)، أي هلا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وقد جاءت (إذ) هنا بمعنى وقت، فالمعنى هلا وقت دخولك جنتك ورؤيتك هذه النعمة قلت ما شاء الله أي هذا ما شاء الله، وأنه بإرادته ومشيئته ولولا مشيئته ما نلتها، وإنه لا قوة لك إنما القوة كلها لله، فهو الذي أعطاك وأغناك فكل شيء بمشيئته –لأ– إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها[٧٤]. ومن لطائف الآية عطف جملة (ولولا دخلت) على جملة (أكفرت) عطف إنكار على إنكار، وقد دلت (لولا) على التوبيخ فهذا شأنها إذا دخلت الفعل الماضي، أي كأن الشأن أن تقول ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾والمعنى: أكفرت بالله وكفرت نعمته.

وتدل (ما) في قوله (ما شآء الله) على أنها موصولة، وهي خبر عن المبتدأ محذوف يدل عليه ملابسة حال دخول الجنة، أي هذه الجنة ما شاء الله، أي الأمر الذي شاء الله أعطاه إياي.

وقد جاءت جملة ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾تعليل لكون تلك الجنة من مشيئة الله أي لا قوة لي على إنشائها، وما في جملة ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾من العموم جعلها كالعلة والدليل لكون تلك الجنة جزئياً من جزيئات منشأت القوى البشرية الموهوبة للناس بفضل الله –لأ–. وفي قوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ جملة إبتدائية رجع بها إلى مجاوبة صاحبه

عن قوله: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ، وعظه فيها بأنه لا يدري أن تصير كثرة ماله إلى قلة أو إلى إضمحلال [٧٥].

ثم تنتقل الأيات لتصور رضا الرجل المؤمن بما قسمه الله –لأ– له، ويقينه وإستبشاره بفضله ورحمته –لأ– فهو –لأ– رزق المؤمن على إيمانه وصبره، وأرسل على جنة الكافر صواعق ومهلكات تدمرها وتبيد زرعها وذلك في قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾.

افتتحت الايتان بـ(عسى) التي تدل على الرجاء، وهو طلب الأمر القريب الحصول، ولعله أراد به الدعاء لنفسه وعلى صاحبه، أي بمعنى لعل ربي أن يؤتيني خيراً من بستانك الذي تتفاخر وتغتر به في الحياة الأخروية بسبب إيماني بأن الله –لأ– هو الذي يعطي ويمنع فإن أعطانا شكرنا وإن منعنا صبرنا وهذا خير لنا[٧٦]، ويسلبك النعمة مقابل كفرك وتكبرك ، والمراد من الحسبان في قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ....﴾ بمعنى الحساب أي مقداراً قدره الله –لأ– وحسبه وهو الحكم بتخريبها وذلك بإرسال الصواعق والمهلكات عليها[٧٧]، والإصباح في قوله (فتصبح) بمعنى الصيرورة، أي فتصير جنتك بعد أن كانت خصبة طيبة زاخرة أرضاً جرداء ملساء لانبات ولا غرس فيها تزلق فيها الأقدام لملاستها، وأما وصف الأرض بالزلق يدل على المبالغة في إنعدام النفع بها بالمرة[٧٨]. ومن البلاغة الكناية في قوله (زلقاً) فالزلق هو الذي لا يثبت عليه قدم وهو كناية على أنه خال من كل نبات وشجر وهو بلقع لا ثمر فيه[٧٩].وقوله:﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ أي ماء جنتك غوراً غائراً داخلاً في الأرض ذاهباً فيها، لا تناله الأيدي ولا الدلاء ، فتكون أعدم أرض للماء بعد أن كانت أوجد أرض للماء. ومن بلاغة الآية الكريمة، المبالغة بإطلاق المصدر على إسم الفاعل، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ أي غائراً[٨٠].

ثم تنتقل الأيات من مشهد النماء والإزدهار إلى مشهد الدمار والبوار ومن هيئة البطر والإستكبار إلى هيئة الندم والإستغفار، فحدث ما توقعه الرجل المؤمن، من اهلاك جنة الكافر، وذلك في قوله تعالى:﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ ، ابتدأت الآية بقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ والإحاطة تعني

الأخذ من كل جانب فهي مأخوذة من إحاطة العدو بالقوم إذا غزاهم، والإحاطة بالثمر تستلزم تلف جميع أمواله من أشجار وثمار وزروع فندم كل الندامة وإشتد لذلك أسفه، وإنما لم تعطف جملة (وأحيط) بفاء التفريع على رجاء صاحبه المؤمن إذ لم يتعلق الغرض في هذا المقام بالإشارة إلى الرجل المؤمن، وإنما المهم التنبيه على أن ذلك حادث حل بالكافر عقاباً له على كفره ليعلم السامعون ان ذلك جزاء أمثاله وأن ليس بخصوصيةٍ لدعوة الرجل المؤمن. وأما تقليب الكفين فهي حركة يفعلها المتحسر وذلك أن يقلبها إلى أعلى ثم إلى قبالته تحسراً على ما صرفه من المال في أحداث تلك الجنة وهي كناية عن الندم والحسرة ، هذه الكناية التي جمعت بين الحركة الظاهرية من اضطراب باد عليه من خلال حركة يديه ، ونفسية قلقلة يسيطر عليها الندم[٨١]، وهذه الكناية أبلغ من الإفصاح لأنها وضعت هذه المعاني النفسية في صورة المحسات ، والتعبير في صورة المحسات يكسف عن المعاني ويوضحها ، ويؤثر تأثيراً بالغاً في المتلقي ، ويحدث عنده انفعالاً يعجز التعبير العادي عن تصويره ، لأنها وضعت بإزاء الأفكار لتعبر عنها بصفتها من معطيات الإحاطة بما يعبر عنه من شحنات عاطفية ينطقها التعبير مستعينا بالصور والحركات"[٨٢]، التي تجيء الكناية بين أبرز أساليب التعبير عنها. وقوله:﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا أي أن كرومها المعروشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم، بحيث قاربت أن تصير صعيداً زلقاً[٨٣].

وجملة﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ حكاية تندمه على ما فرط منه حين لا ينفعه الندم بعد حلول العذاب، فلذا يشير الفعل المضارع للدلالة على تكرر ذلك القول منه. وحرف النداء في قوله (يَالَيْتَنِي) مستعمل في التلهف، وهو تمني مراد به الندم[٨٤]، أي أن صاحب الجنتين تمنى بعدم إشراكه بالله أحداً من المخلوقات، فكأنه تذكر موعظة صاحبه المؤمن، وعلم أنه إنما هلكت جنته بشؤم شركه، فتمنى أن لا يكون مشركاً، فلم يصبه ما أصابه حين لا ينفعه التمني. ومن الأساليب البلاغية في هذه الآية التتميم، وذلك من خلال تصوير الإحاطة بالجنتين وبالثمر معاً، فقال: (وأحيط بثمره).

ويلاحظ على آيات قصة صاحب الجنتين تكرار لفظ (الجنة) خمس مرات باللفظ فضلاً عن الضمائر التي تعود اليها ، وهذا لأن الجنة كانت هي سبب الفتنة والبلاء للرجل الكافر ، بالإضافة الى ان هذا التكرار حقق تماسكاً نصياً واضحاً بين آيات القصة.

وبعد بيان ما حدث لجنة الكافر من الدمار والبوار، جاءت الآية التي بعدها لتبين أنه لم يكن لذلك الكافر فئة يقدرون على نصره بدفع الهلاك، من دون الله –لأ– فإنه القادر على ذلك وحده، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ....﴿٤٣﴾ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ... ﴾ أي لما نزل العذاب بجنته ذهب عنه ما كان يفتخر ويتكبر به من قوله لصاحبه المؤمن: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ... ﴾ ، فلم يكن له فئة تنصره على كل حال، بل كانوا فئة تناصر ماله ولا تناصر شخصه فلا نصير له من دون الله، وقد تخلى الله –لأ– عنه لعصيانه فلم يكن له نصير من غيره، وماكان منتصراً أي ممتنعاً لا يقدر على رد ما ذهب منه.

وجاء التعبير القرآني ليُبين لنا أن هذا العقاب لا لمجرد الكفر، وذلك لأن الله –لأ– يمتع كافرين كثيرين طول حياتهم ويملي لهم ويستدرجهم، وإنما أحاط به هذا العقاب جزاء على طغيانه وكبره وجعله ثروته وماله وسيلة إلى إحتقار المؤمن الفقير، فإنه لما اغتر وتكبر بتلك النعم وتوسل بها الى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله –لأ– بسلب تلك النعم عنه(٨٥).

وتنتقل الأيات بعدها لتؤكد أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده فيوالي فيه المسلمين ولاية رحمة، وله على الكافرين ولاية الملك والقهر، كما في قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ....﴿٤٤﴾ ﴾ واستعمل (هُنَالِكَ...) للإشارة إلى البعيد في الآخرة، ولذا كانت الإشارة بالبعيد باللام والكاف معاً، وكلاهما تنبيه للبعيد، والمعنى هنالك السلطان والملك لله –لأ– لا يغلب ولا يمتنع منه(٨٦)، وقد جاءت هذه الجملة تذييل للجمل قبلها لما في هذه الجملة من العموم الحاصل من قصر الولاية على الله –لأ– المقتضي تحقيق جملة: ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ وجملة ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ....﴿٤٣﴾ ﴾ ، وكذلك جملة: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ لأن الولاية من شأنها أن تبعث على نصر المولى وأن تطمع المولى في أن وليه ينصره، ويكون الحق في قوله: (...لله الحق) بمعنى الصدق لئن ولاية غيره كذب وباطل، والواجب بذاته هو الحق مطلقاً، إذ هو الذي يستبين بالعقل أنه موجود حقاً، فهو من حيث ذاته ليس موجوداً ومن حيث إضافته إلى العقل الذي أدركه على ما هو عليه يسمى حقاً. وبهذا يظهر وجه وصفه هنا بالحق دون وصف آخر، لأنه قد ظهر في مثل تلك الحال أن غير الله لا حقيقة له او لا دوام له. ومن البلاغة في الآية ،

الإستعارة في: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾فإسم الإشارة (هنالك) الذي يدل على المكان البعيد، مستعار للإشارة إلى الحال العجيبة بتشبيه الحالة بالمكان لإحاطتها بصاحبها، وتشبيه غرابتها بالبعد لندرة حصولها. وختمت الآية بقوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ على طريقة تشابه الاطراف بتأكيد معنى الآية، فالخير في هذه الآية يجوز أن يكون بمعنى أخير، فيكون التفضيل في الخيرية على ثواب غيره وعقب غيره فإن ما يأتي من ثواب من غيره ومن عقبى إما زائف مفضٍ الى ضر وإما زائل، وثواب الله خالص دائم وكذلك عقباه، ويجوز أن يكون خيرٌ إسماً ضد الشر، أي هو الذي ثوابه وعقبه خير وما سواه فهو شر(٨٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة ورسول الانسانية وعلى آله واصحابه اولى الخصال الزكية . اللهم له الحمد انتهاءً كما حمدناك ابتداءً على منك وفضلك علينا ان وفقنا لاتمام مسيرة البحث حتى خاتمته .

فبعد التدقيق في موضوعات البحث توصلنا الى بعض النتائج التي يطيب لنا أن نوجزها بما يأتي :

١- أظهر البحث ان تنوع الخطاب القراني لرسوله الكريم بذكر أخبار الأمم السابقة وقصصهم كان الغرض منه اما تسليته -ﷺ- وتذكيره بالنعم التي أنعمها الله عليه او تثبيته -ﷺ- مما يلاقيه من قومه .

٢- حاول البحث بيان المناسبة والانسجام بين قصتي أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين مع ترابطهما الموضوعي والسياقي الذي يحقق التماسك والترابط بين آيات السورة.

٣- نظر البحث إلى الخطاب البلاغي في القصتين من حيث مضامينهما لذلك قسمت كل قصة منهما إلى مقاطع عدّة تجمعها كل واحدة منها فكرة معينة . وجاء هذا التقسيم ارتأيناه بعد تقسيم البحث الى مبحثين ليحاول الوقوف على بلاغة القصتين وسبر اغوارهما على صعيد اللفظ ودلالته.

٤- أثبت البحث ان القران الكريم يأتي بقصص السابقين لأخذ العبرة والدروس منها وهذا ماظهر واضحاً في قصتي اصحاب الكهف وصاحب الجنتين .

٥- أظهر البحث تماسك القصتين وترابطهما في تحقيق الهدف المنشود منهما للمناسبة الظاهرة بينهما ، إذ أصبحتا نسيجا واحدا متماسكا غاية التماسك يجمعهما وحدة الموضوع والمقصد.

٦- اعتمد التعبير القرآني في رسم معالم الخطاب في القصتين على عناصر الخطاب الرئيسة(المتكلم والمخاطب والرسالة).

٧- أظهر البحث ان دراسة النص القراني دراسة بلاغية تحليلية تكشف أسراره وتبين مواطن الاعجاز فيه .

الهوامش

(١) لسان العرب ، ابن منظور : ٥ / ٩٧ – ٩٨ ، مادة خطب.

(٢) ينظر :المصدر نفسه : الصفحة نفسها ، مادة خطب .

(٣) الخطاب القرآني ، خلود العموش : ٢٣

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي : ٤٠٣/١.

(٥) ينظر: الخطاب القرآني: ٢٤.

(٦) ينظر: اسباب نزول القران ، ابو الحسن علي النسيابوري : ٣٠٠ .

(٧) ينظر:التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ، مجموعة من العلماء : ٥ .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف الحديث رقم (٤٤) : ٦ / ٤٢٤ .

(٩) المصدر نفسه ، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، الحديث رقم(٢٩٣٧): ١٨ / ٣٨١ .

(١٠)السنن الكبرى،البيهقي،كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلةالجمعة ويومها، الحديث رقم ٣:٥٩٩٦/٣٥٤.

(١١)صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب سورة بني اسرائيل ، حديث رقم ٤٧٣٩ : ٦/ ٩٦ .

(١٢)ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم : ٢٢٠ .

(١٣)ينظر: المصدر نفسه : ٢٢٢ .

(١٤)ينظر: التفسير الموضوعي لسورة الكهف ، احمد بن محمد الشرقاوي : ٦ – ١٤ .
(١٥)ينظر: روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الالوسي : ٨ / ١٩٩ ، ومعارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حسن حبنكة : ١٣ / ٣٢٦ .
(١٦)ينظر: روح المعاني : ٨ / ٢٠٠ .
(١٧)معارج التفكر ودقائق التدبر : ١٣ / ٣٢٦ .
(١٨)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥ / ٢٦٥ / ٢٦٦.
(١٩)خصائص التراكيب ، محمد أبو موسى : ١٦١.
(٢٠)ينظر : الإبداع البياني في القرآن ، محمد الصابوني : ١٩١ .
(٢١)ينظر : زهرة التفاسير ، محمد أبو زهرة : ٩ / ٤٤٩٩ .
(٢٢)ينظر: المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
(٢٣)ينظر: التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٧١.
(٢٤)ينظر: البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي : ٦ / ١٠٢
(٢٥)ينظر : الكشاف ، الزمخشري: ٣ / ٥٦٩ ، والابداع البياني:١٨٩.
(٢٦)ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور : ٣٤٤.
(٢٧)ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٧٢ – ٢٧٣ .
(٢٨)ينظر : روح المعاني : ٨ / ٢٠٩ .

(٢٩)ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٧٤ .
(٣٠)ينظر : المصدر نفسه : ١٥ / ٢٧٥ .
(٣١)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥ / ٢٧٦ .
(٣٢)دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني: ١١٢ .
(٣٣)ينظر: حدائق الروح والريحان ، محمد الامين الهرري : ١٦ / ٣٢٥ .
(٣٤)ينظر: التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٨١ .
(٣٥)ينظر: روح المعاني : ٨ / ٢١٦ .
(٣٦)العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القرواني : ١ / ٢٨٧ .
(٣٧)ينظر:المصدر نفسه : ٨ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٣٨)ينظر: التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٨٧
(٣٩)ينظر: المصدر نفسه : الصفحة نفسها.
(٤٠)ينظر: الكشاف : ٧١٢/٢.
(٤١)قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة : ٢٧٦ .
(٤٢)ينظر: زهرة التفاسير: ٤٥١٤/٩.
(٤٣)ينظر: إعراب القران وبيانه ، محي الدين الدرويش : ١٥/ ٤٦٤.

(٤٤)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٣٣٢.
(٤٥)ينظر: زهرة التفاسير: ٩/ ٤٥١٣- ٤٥١٤.
(٤٦)ينظر: حدائق الروح والريحان: ١٦/٣٣٤.
(٤٧)ينظر: المصدر نفسه: ١٦/٣٣٥.
(٤٨)ينظر: زهرة التفاسير: ٩/٤٥١٨-٤٥١٩.
(٤٩)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٣٠١.
(٥٠)ينظر: حدائق الروح والريحان: ١٦/٣٣٨.
(٥١)ينظر: زهرة التفاسير: ٩/٤٥١٩.
(٥٢)تحليل النص الشعري ، يوري لوتمان : ٦٤ .
(٥٣)ينظر: التفسير الموضوعي لسورة الكهف: ٤٧ .
(٥٤)ينظر: الابداع البياني :١٨٩ .
(٥٥)الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، فالح أحمد الحمداني : ٨٩.
(٥٦)ينظر: اعراب القران وبيانه : ١٥ / ٤٩٦.
(٥٧)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٣١٨.
(٥٨)ينظر: إعراب القران وبيانه : ١٥ / ٤٩٦ – ٤٩٧ .
(٥٩)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٣١٨- ٣١٩- ٣٢٠ .
(٦٠)ينظر: حدائق الروح والريحان: ١٦/٣٦٩.
(٦١)ينظر: المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
(٦٢)فن الالتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي سليمان ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم اللغة العربية/كلية الاداب في جامعة الموصل ، ١٩٨٨ : ٢٤.
(٦٣)ينظر: اعراب القران وبيانه : ١٥ / ٤٩٧ –٤٩٩.
(٦٤)ينظر: حدائق الروح والريحان: ١٦/٣٧٠.
(٦٥)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٣٢٠.
(٦٦)ينظر: حدائق الروح والريحان: ١٦/٣٧٠.
(٦٧)ينظر: روح المعاني: ٨/٢٦٢.
(٦٨)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٣٢١-٣٢٢.
(٦٩)ينظر: روح المعاني: ٨/٢٦٢.
(٧٠)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٣٢٢.
(٧١)ينظر: حدائق الروح والريحان: ١٦/٤٠٢-٤٠٣.
(٧٢)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٢١-٣٢٢
(٧٣)ينظر: روح المعاني ٨/٢٦٤.
(٧٤)ينظر: زهرة التفاسير: ٩/٤٥٣٢.

(٧٥)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٢٣-٣٢٤

(٧٦)ينظر: حدائق الروح والريحان: ٣٧٦/١٦.

(٧٧)ينظر: الكشاف: ٣/ ٥٨٨.

(٧٨)ينظر: حدائق الروح والريحان: ٣٧٦/١٦.

(٧٩)ينظر: زهرة التفاسير: ٤٥٣٣/٩.

(٨٠)ينظر: صفوة التفاسير، محمد الصابوني: ١٩٥/٢.

(٨١)ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٢٦-٣٢٧ .

(٨٢)ينظر: الأسلوب ، أحمد الشايب : ٥١.

(٨٣)ينظر: الكشاف: ٥٨٨/٣.

(٨٤)ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٧/١٥.

(٨٥)ينظر: زهرة التفاسير: ٤٥٣٥/٩.

(٨٦)ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٨/١٥.

(٨٧)(ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٨/١٥-٣٢٩.

المصـادر والمراجــع

أولاً. الكتب

١- الإبداع البياني في القرآن العظيم (في الأمثال ، والتشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، والكناية) مع الامتاع بروائع الإبداع ، محمد علي الصابوني ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢- اسباب نزول القران ، ابو الحسن على بن احمد بن محمد علي الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) ، حققه : كمال بسيوني ، دار العلمية – بيروت ، الطبعة الاولى (١٤١١ هـ).

٣- الأسلوب- دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية – مصر، ط٥، (د. ت).

٤- اعراب القران وبيانه ،محي الدين الدرويش ، دار اليمامة ، ودار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، الطبعة الرابعة :١٤١٥هـ.

٥- البحر المحيط ، اثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الشهير بابي حيان (ت ٧٤٥ هـ) ، حققه :عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ،دار الكتب ،بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦- التحرير والتنوير (تحرير المعني السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣) ، (د. ط) الدار التونسية – للنشر تونس ، ١٩٨٤ هـ .
٧- تحليل النص الشعري ، يوري لوتمان ، ترجمة:محمد فتوح، دار المعارف ، القاهرة – مصر، ١٩٩٥ .
٨- التعبير القرآني ، د.فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، جمعية عمّال المطابع التعاونية ، عمان – الأردن ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
٩- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، مجموعة من العلماء ، جامعة الشارقة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٠م .
١٠- التفسير الموضوعي لسورة الكهف ، احمد بن محمد الشرقاوي ، جامعة القصيم ، ٢٠٠٧ م.
١١- الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله –ﷺ– وسننه وايامه ، المسمى صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي ، (د. ت) ، حققه : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ .
١٢- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران ،محمد الامين بن عبد الله الارمي العلوي الهروي الشافعي ،دار طوق النجاة ، بيروت– لبنان ، الطبعة الاولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .
١٣- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د.محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، أميرة للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦هـ –١٩٩٦م .
١٤- الخطاب القراني ، خلود العموش ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، (د.ط) (د.ت).
١٥- دلائل الإعجاز (في علم المعاني) أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١ هـ)، ت: محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٥م.
١٦- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
١٧- زهرة التفاسير ، محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، (د.ت).
١٨- السنن الكبرى ، احمد بن الحسين بن علي ابو بكر البيهقي ، (ت : ٤٥٨ هـ) حققه : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
١٩- صفوة التفاسير ،محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت).
٢٠- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، فالح أحمد الحمداني ، مؤسسة الوراق ، عمان – الاردن، الطبعة الاولى ، ٢٠٠١م .
٢١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢.
٢٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
٢٣- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى.

٢٤- كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي الفاروقي المعروف بـ (التهانوي ت ١١١١٩هـ) صور في طهران عن طبعة كلكتة، ١٨٦٢م.

٢٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ،ابو قاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) حققه : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، الطبعة الاولى ، ١٤١٨ – ١٩٩٨ م.

٢٦- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، ابو الفضل ، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر ، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).

٢٧- مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٢٨- المسند الصحيح المختصر بقل العدل الى رسول الله –ﷺ– المسمى صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القيشري النيسابوري ، (ت ٢٦١ هـ) ، حققه : محمود فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٩- معارج التفكر ودقائق التدبر ،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

ثانياً. الرسائل الجامعية

١- فن الالتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي سليمان ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم اللغة العربية/كلية الاداب في جامعة الموصل ، ١٩٨٨.

ABSTRACT

Praise be to Allah, and enough and pray for the slaves who chose. After, the text Quranic River flowing tender, Sacher does not expire wonders, does not end the headwaters beauty in it, prodigious over times and ages, and colors likeness style fiction, purposeful, and our desire to serve Book of our Lord which is to worship and and attempt to discover some secrets rhetorical was chosen for the subject of the study entitled "eloquence Qur'anic discourse in my story owners cave and Gantin owner. unbend research in the light of the two preceded pave, Taatloheme conclusion, addressed in the boot address the study, and the reason for the revelation of the Cave and virtues.

Then came the Chapters of trying to detect the beauty and secrets rhetoric rhetoric in my story owners cave and owner Gantin came first chapter titled: owners cave, either Chapter II came entitled: (His Gantin) has walk in our study of the cave approach rhetorical analytical based on rules developed by scientists rhetoric evacuation. We have adopted in the study a number of sources, comes in the forefront of blogging and wrote explanatory rhetoric.

The last prayer Praise be to Allah, and peace and blessings on Mr. Anam and Messengers, Muhammad and his family and companions.